عائشة حسيني - فضيلة حفاف.

جامعة البويرة

موقف محي الدين ابن المبارك من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال مراسلاته مع السلطات الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: ابن المبارك- العهد العثماني- بسهل متيجة- الاستعمار الفرنسي -

الملخص:

تعتبر عائلة ابن المبارك من العائلات ذات المكانة المرموقة لدي السلطة والمجتمع الجزائري في العهد العثماني حيث عرفت بالدين والصلاح حسب ما أكدته جل المصادر المعاصرة، واستمرت هذه المكانة في بداية الاحتلال، ولهذا فمن المؤكد والطبيعي أن تكون لهم امتيازات مادية، وسلطة معنوية على السكان.

وقد أدركت السلطات الاستعمارية هذه المكانة منذ بداية الاحتلال، فلجأت إلى تعيينهم كوسطاء لدي المجتمع خاصة بعد تصاعد حركة المقاومة، فهم يمثلون لها من جهة السلطة المعنوية لدي السكان كونهم أصحاب زاوية معروفة، ومن جهة أخري يمثلون صيدا ثمينا نضرا لما تمتلكه هذه الزاوية من أراضي بسهل متيجة يمكن السلطة الاستعمارية الاعتماد عليهم في تزويد قواتها المرابطة بالعاصمة، خاصة بعد حملات المقاطعة في التبادل التي اقرها سكان السهل بعد تنظيم المقاومة والانخراط فيها.

وقد تحكمت سلوكيات الإدارة الاستعمارية تجاه سكان السهل في العلاقات بين الطرفين ،حيث اتسمت بالقوة والعنف خاصة في عهد دي روفيقو، وهذا يقودنا إلى البحث عن موقف ابن المبارك من المقاومة السياسة والعسكرية والتوسع الاستيطاني في نفس الوقت، ومن سياسة الحكام العامين بالجزائر، فهل كان هو وغيره من أعيان السهل لهم موقف موحد في مواجهة هذه السياسة، وفي قلب الحدث ؟، آم كانوا بعيدين ينتظرون دورهم وما سوف تفرزه لهم الأحداث في المستقبل.

نبذة عن أسرة بن المبارك.

سيدي علي المبارك ولي القليعة ، يعود أصله إلى حشم معسكر ، ولد حوالي 960هـ /1552 م بضواحي معسكر، وتوفي عام1041هـ/1630م، لا نعلم شيئا عن طفولته وحياته ،

والمعروف أنّه هاجر حوالي 1009هـ/1601 م إلى القليعة التي أسسها آنذاك حسن بن خير الدين حوالي 1550 م ، وأسكن بها جماعة من الأندلسيين الفارين من اسبانيا.

ويبدو أنّ سيدي علي المبارك قصد القليعة بهدف التعلم على يد أساتذتها الأندلسيين، وكان عليه كسب قوته فعمل في أحد الحقول حيث ظهرت عليه كرامات أكّدت لصاحب الحقل أنّه أحد أولياء الله الصالحين، فكان أحد أتباعه ومريديه، وذاع صيته في متيجة فهرع إليه الناس بهباتهم وهداياهم، وأسس زاوية أصبحت قبلة لطلبة القرآن والتوحيد، الفقه، الفلسفة والتاريخ (كانت تستقبل حوالي 400 طالب)، وكان لهذه الزاوية علاقة بالطريقة الشاذلية[1]، وكان لها مريدين من مختلف أنحاء الجزائر ووسطها في العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كثر نسل سيدي علي المبارك وزاد ثراؤهم(كانت تملك 800 هكتار من أخصب الأراضي في متيجة)، واتسع نفوذهم من وادي الشلف غربا إلى وادي يسر شرقا[2]، ومن مريديهم نذكر قبائل : شنوة، حجوط، موزاية، بني مناصر، بني مناد، سوماتة...وباشوات الجزائر، ويكفي أن نذكر أن الداي مصطفى قام بتدعيم ضريح سيدي علي المبارك إثر الزلزال الذي عرفته مدينة القليعة، كما كانت هذه الزاوية ملجأ للمرضى و المطاردين من طرف السلطة العثمانية آنذاك، مما يعكس المكانة الهامة لأسرة ابن المبارك في وقتها ومدي تأثيرها على السلطة والمجتمع في الجزائر[3].

أما الحاج محي الدين الصغير بن سيدي علي المبارك فهو من مواليد سنة 1789أو 1790 [4]، ينتمي إلى أسرة سيدي مبارك الذي تحدثنا عليه أنفا في القليعة، وتحديدا إلى الجيل الخامس لمرابط القليعة سيدي علي المبارك(1552- 1629م؟)، علما أن أصل هذا الأخير يعود إلى حشم معسكر، ورث عن أسلافه مكانة سامية وعرف عنه الورع و التقوى، وجمعته علاقات جيدة بشيوخ وقبائل متيجة ومرابطيها[5]، نذكر منهم المرابط سيدي زيد قرب الأربعطاش[6]، وبعد سقوط العاصمة عرفت كل أوطان متيجة وشرشال الفوضى باستثناء القليعة التي كانت تحت قيادته[7].

وقد أدركت الإدارة الاستعمارية مكانة هذه الأسرة عند المجتمع ومكتسباتها المادية، حيث رأت فيهم انهم يمثلون من جهة السلطة المعنوية لدي السكان كونهم أصحاب زاوية معروفة، ومن جهة أخري يمثلون صيدا ثمينا نضرا لما تمتلكه هذه الزاوية من أراضي بسهل متيجة.

وانطلاقا من هذه المعطيات، أي من مكانتهم من جهة، وموقفهم من المد الاستعماري بالجزائر وتصاعد حركة المقاومة من جهة أخري ، فانه كان لزاما عليهم تسجيل مواقفهم في حينها، وفي هذا الإطار العام تندرج هذه المحاولة التي قام بها الشيخ محي الدين ابن مبارك خاصة بعد أن

عينته الإدارة الفرنسية كأغا للعرب في منطقته، وقد راهنت عليه لحفظ السلم والهدوء واستمرار التبادل التجاري مع قوات الاستعمار بالعاصمة.

إلا أن سياسة الحكام الفرنسيين بالجزائر قد تراوحت ما بين الانحياز إلى السلم نوعا ما مثل ما قام به بارتوزان، وما بين الشدة والقتل والاتهامات والاعتداءات التي اشتهر بها الدوق دي روفيقو، وقد توترت العلاقات كثيرا بفعل تصرفات هذا الأخير مع سكان السهل ومع الزعامات المحلية التي كان يمثلها الحاج محي الدين ابن المبارك، وفي هذا الإطار العام تدخل هذه المراسلات التي بعث بها ابن المبارك وحكام السهل إلى الإدارة الفرنسية بالجزائر وفرنسا ،احتجاجا على سلوكيات جيش الاستعمار وقادته ضدهم.

وصف الملف والمضمون العام للرسائل.

يقع هذا الملف ضمن سلسلة الحكومة العامة في السلسلة 5 (H) ،بأرشيف ما وراء البحار اكس اون بروفانس، وهو يحوي إلى جانب هذه الوثائق مجموعة هامة أيضا تخص شؤون الجزائريين في بداية الاحتلال، والتي تندرج في مضمون العلاقات التي ربطت الطرفان خلال هذه الفترة العسيرة عموما، وكرفض للسياسة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا في مختلف المجالات سواء في علاقاتها مع السكان، أو فيما يخص مسألة التوسع والاحتلال.

تحليل لمضمون مراسلات الأغا محي الدين واعيان السهل في بداية الاحتلال.

نلاحظ من خلال المراسلات أن أعيان السهل لم يقفوا مكتوفي الأيدي مما يحدث لإخوانهم في الدين وأقربائهم الذين غرر بهم روفيقو ، بل بادروا إلى لم شمل الأعيان بسهل المتيجة وخارجه ، وأرسلوا رسائل إلى وزير الحربية والملك الفرنسي منذ بداية الاحتلال، و قد مثلت هذه المبادرة قاعدة أساسية لطريقة التعامل التي أقرها أعيان السهل في المستقبل مع السلطات الاستعمارية، وقادت الكثير منهم إلى الانخراط في صفوف مقاومة الأمير عبد القادر، وقررت أيضا مصير وطريقة تعامل سكان السهل مع السلطات الاستعمارية بعدها,

ونجد الكثير من هذه العرائض التي تتحدث باسم الشعب الجزائري عامة منذ بداية الاحتلال [8]، إلا أن هذه المراسلات التي أرسلها الأغا محي الدين والممضاة من طرف أعيان السهل أيضا نجدها تتحدث باسم أعيان السهل، وتتناول شكاويهم واهتماماتهم، وتحدد مستقبل علاقاتهم بالفرنسيين في المنطقة.

ومن ضمن مراسلاته العديدة أخذنا أربعة رسائل أساسية منها رسالتان تحملان تاريخ محرم 1248 هـ ،أي حوالي شهر جوان 1832، واحدة مرسلة من طرف الحاج محي الدين بن سيدي علي بن مبارك شيخ الأشراف بختمه وحده فقط، بين فيها مكانة عائلة ابن المبارك لدي المجتمع الجزائري، كما بين أنهم لم يتخذوا موقفا عدائيا ضد فرنسا في البداية، ولكن بعد أن نكثت عهودها وبدأت في الاستيلاء على المساجد والديار وخاصة بعد تدخل اليهود الدين بدءوا في إثارة الفتنة تغيرت مواقفهم، وقد أشار الي تجمع كبار القوم و الأعراش في القليعة واتفقوا أن يخبروا السلطات في فرنسا بما يحدث في الجزائر، وطلبوا إرسال حاكم يحكم بالعدل إلى البلاد(9).

وهذه مقاطع مما ورد في هذه الرسالة "...خاصة عندما دخلتموني في وضيفة أغا زدت على فعل الإصلاح لجميع العباد فوق طاقتي، والحمد لله الأمور التي نقدر عليها مع الجنرال هذا الذي قبله (بارتوزان) صدقت فيها كلها ولم تقع مني خيانة...ثم لما كثرت الأغراض من بعض حكام الجزائر ونقضوا الشروط التي بينكم وبين أهل الجزائر، واخذو المساجد بغير فائدة...والديار وجعلوا الغرامة على أهل البلاد وأهل العمالة الذين يأتون بالأرزاق للجزائر، وربما يقتلوا البعض منهم ويحبسوا البعض بغير حق...هذا الفساد سببه اليهود وبعض المسلمين ...وكان السيد احمد بوضربة لما قدم إلى الجزائر من فرنسا خبر جميع الناس بان الفرنسيين أصحاب عدل وإنصاف، فما وقع في الجزائر على خلاف ما في فرنسا...اجتمعوا كبراء الأعراش والقوم ومشايخ العرب وجاؤنا إلى القليعة ...وتكلموا كلاما طويلا بحضرتنا فاتفقوا كلهم على أن يخبروا حضرتكم بجميع الأمور بالتفصيل والتحقيق...ووافقهم على ذلك الشيخ القاضي فلابد تفكروا في أمر الضعفاء...فلابد تعملوا لها تأويلا طيبا يصلح بجميع العباد، وتبعثوا حكاما يحكمون بالحق...أما إذا بقيت العمالة والجزائر على هذا الفساد فلابد أن تخبرونا بجواب على كل حال...وإذا وجدنا الموافقة على إصلاح نقيمو على ما نحن عليه...وأما إذا وجدنا الأمر على خلاف ما ترقبوه منكم هبوا إلى الأرض بقوة لان الفتنة قريبة وهي عظيمة...لابد من الجواب...".

نلاحظ من هذه الرسالة أن ابن المبارك يشتكي من سياسة دي روفيقو علنا، ويطلب خلعه وتعيين حاكم عادل، وهو يشير إلى مشكلة الفتنة التي وقعت وستقع بسبب سياسته، وبالتأكيد أن هذه الشكاية ستكون مجلبة لسخط دي روفيقو عليه، كما يشير أيضا إلى موقف بوضربة ورأيه في الفرنسيين بناءا على خبرته معهم في فرنسا، ولكن كما يقول ابن المبارك أن سياستهم في الجزائر تختلف تماما عما هي عليه في فرنسا.

والرسالة الثانية جاءت في نفس التاريخ السابق وفي نفس المحتوي السابق أيضا، ولكنها جماعية حيث امضي فيها 17 فردا من أعيان متيجة ، وهم : نقيب الإشراف ، أحمد بن موسي

شيخ بني مناد، محمد بن علي قاضي بني مناد، الطاهر بن عبد الله شيخ مدية ، إبراهيم بوشاشي شيخ شنوه، محمد بن عمر شيخ سماته، زيد بن علال شيخ بني جعد وأولاد إدريس ،عريب ،وأولاد ماضي، علي بن عبد الرحمن شيخ بني صالح، العربي بن حميد شيخ بني ميسورة، احمد الحبيب شيخ وزرة، الحاج محي الدين أغا، الحاج محي الدين الكبير شيخ الأشراف، علال بن محي الدين حاكم القليعة، عواد بن محمد شيخ مجاجة، مفتي وفقيه البليدة، الحاج على شيخ بوحلون، حميد بن خوجة .

ورد في هذه الرسالة مجموعة من الأفكار السابقة التي عرضها الشيخ محي الدين، جاء في بعض أفكارها مايلي :"...من عبيد الله سبحانه وتعالى كبراء عمالة الجزائر قري وبادية من المرابطين والأشراف الواضعين أسمائهم بخواتمهم إلى عظماء الدولة الفرنسية ..."، ثم نجد إشارة إلى أن الخلاف بين الناس ظهر حول مسالة التعامل بالبيع والشراء مع الأوروبيين، وان الأغلبية قاطعوا التعامل معهم، ففي كل مرة تظهر محاولة قطع الطرق، ولكنهم ساهموا كما سموه في إطفاء فتنة الحرب التي أدت إلى فساد معيشة الناس وخاصة الضعفاء ، وتخلى الناس عن حرث أراضيهم في المتيجة، وفسدت البساتين، وساءت الأحوال وتعطلت أعمال الناس فغلت الأسعار، في كل من القليعة والبليدة ومتيجة وغيرها، وأصبح ما يتزود به السكان يأتي من خارج السهل على مسيرة 3 أو أربعة أيام ، لهذا اجتمع كل مشايخ العرب عند الحاج محي الدين بالقليعة، ورأوا انه في حال ما إذا بقيت البلاد على هذا الحال لمدة شهرين أو ثلاثة فان الكثير من الناس سيضيعون، ويشيرون أن الأغلبية متفقون على محاربة الفرنسيين، ثم يذكرون الفرنسيين بعهدهم الذي قطعوه لأهل الجزائر عند الدخول ثم نقضوه فيما بعد، حيث استولوا على المساجد والديار والحوانيت، وفرضوا الغرامات، فهرب الناس جميعهم ، ولا مناص أن يكون لهم نفس مصير أصحاب العاصمة في حال ما إذا أطاعوهم واذعنوا لهم، فهذه الحرب لا يربحها لا الجزائريون ولا الفرنسيون، ولا يستقيم الأمر لهم إلا إذا اخلوا الجزائر من أهلها وعمروها بجنس أخر وأكثروا من العساكر، ثم يشيرون إلى أن أهل الجزائر يمكنهم الهروب والالتحاق بالجبال ثم الجهاد، لان مدينة الجزائر ليست مدينة مسورة، فلا يمكنهم التحكم في حركة السكان، ثم يذكرون انه في حال ما إذا ظهر لهم صدق كلامهم أن ينظروا لهم وللضعفاء أيضا، وان يعملوا كما قالوا تاويلا(حل) يليق بهم، وبجمع البلاد وبالفرنسيين أيضا، ثم يستفسرون عن مسالة بيع الجزائر إلى احد السلاطين، ويطلبون عوض ذلك تعيين واحد منهم كحاكم عوض منحها لأخر، وان يأمروا أهل العمالة تعيين واحد من الأشراف الذي يستطيعون الثقة فيه وضمانه من جهتهم، وقد توسلوا بل استعطفوا في هذا الأمر أي عدم بيع الجزائر وتعيين احد أهلها عليها، ثم يشيروا في النهاية أنهم عينوا الحاج محي الدين للتحدث معهم بالنيابة عنهم[10].

وفي رسالة (ربيع الأول) من السنة الموالية أرسل الحاج محي الدين ابن المبارك رسالة أخري وهي الثالثة إلى وزير الحربية، أي بعد سنة وشهرين من المراسلة الأولى، معناه أواخر سنة 1833 ، أشار فيها دائما الحاج محي الدين أغا إلى أن أعيان السهل سبق وان بعثوا رسائل إلى السلطات الفرنسية بفرنسا في هذا المضمون، يشتكون من سلوكيات الدوق دي روفيقو، والذي أصبحت سياسته الظلم التام، كما راسلهم باسمه أيضا في نفس الموضوع يخبرهم تجاهله من طرف هذا الدوق -دي روفيقو- في سياسته مع الجزائريين، حيث لم يأخذ بنصائحه، بل أصبح يناقض الأغا محي الدين في أوامره إلى باقي المجتمع مما أحرجه مع الأعراش حسب ما ذكره، لأنه محسوب عليهم أي الفرنسيين، وله شهود في هذا ومنهم بيشون...، ففي عهد بارتوزان كما يقول كانت الأمور على ما يرام بفضل سياسته، ولكن سياسة هذا الأخير زادت في الدعاية للمقاومة أكثر، فثارت الكثير من القبائل مما عطل مصالح الناس في البيع والشراء، وفقد الأمن حسبه، وأصبح الحاج محي الدين محل شك وريبة عندهم، وقد حذر الحاج محي الدين الفرنسيين من ناس البادية بأنهم ليسوا مثل الحضر إذا ركبوا رؤوسهم، ومطلبه الأساسي تنحية دي روفيقو وتعيين شخص أخر أكثر تساهلا معه في التعامل، كما برأ نفسه وأشار انه قد حلف على كتاب الله أن لا يتسبب في الفتنة أمام الجنرال بارتوزان، وذكر في هذه الرسالة أنه قد أرسلها سنة من قبل، ومن منطقة القليعة أيضا مركز تجمع الأعيان لديه ، وكان مضمونها عبارة عن مجموعة من المطالب التي عبر عنها الأعيان إلى السلطات الفرنسية، والتي لخصها الأغا الحاج محي الدين أيضا في هذه الرسالة وأرسلت سابقا إلى السلطات الفرنسية [11].

المراسلة الرابعة كانت بعد أربعة أشهر من تاريخ أخر مراسلة بينهما، ممضية من طرف 18 شخص، وهذه هي قائمة أسماء الذين امضوا فيها بأختامهم وهم على التوالي، نقيب الأشراف الحاج محي الدين أغا، الحاج علي شيخ بوحلوان، الحاج احمد بن يوسف شيخ يسر، الحاج محمد شيخ الساحل، مفتي وفقيه البليدة، احمد الحبيب شيخ وزرة ، العربي بن حميد شيخ بني ميسورة، علي عبد الرحمن شيخ بني صالح، بن عمر شيخ سماته، إبراهيم بوشاشي شيخ شنوه، عواد بن محمد شيخ مجاجة، علال بن محي الدين حاكم القليعة، الحاج محي الدين بن سيدي علي بن مبارك شيخ الأشراف، زيد بن علال شيخ بني جعد وأولاد إدريس ،عريب وأولاد ماضي، أحمد بن موسي شيخ بني مناد، محمد بن علي قاضي بني مناد، الطاهر بن عبد الله شيخ مدية، أي بإضافة كل من الحاج احمد بن يوسف شيخ يسر،الحاج محمد شيخ الساحل إلى الأعضاء السابقين الذين امضوا في المراسلة الجماعية لشهر جوان من سنة 1832.

وقد تناولت هذه المراسلة تصرفات الحاكم العام دي روفيقو ضد الأغا محي الدين ابن مبارك وسكان السهل، وهي عبارة عن مبادرة احتجاجية جماعية هامة، موثقة من طرف أعيان

السهل[12] ضد تصرفات الدوق دي روفيقو في الجزائر، ورد في هذه الوثيقة 18 ختم وإمضاء للأعيان، معظمها من أعيان متيجة ، إلى جانب بعض الشيوخ منهم شيخ بني جعد وأولاد إدريس ،عريب وأولاد ماضي، ولهذا نستطيع القول عن هذه القضية بأنها لو تطورت على هذا النحو لأصبحت مبادرة وطنية أكثر منها محلية، ويتضح هذا من خلال الأسماء التي حملتها هذه الوثيقة من خارج أعيان السهل ومن المناطق البعيدة كأولاد ماضي وعريب، إلى جانب نوعية المطالب التي رفعوها، فيقولون في مطلع الرسالة من كبراء عمالة الجزائر من المرابطين والأشراف الواضعين أسمائهم بخواتمهم إلى عظماء الدولة الفرنسية، وليست هي المراسلة الأولى والوحيدة حسب ما ورد على لسانهم في هذه الرسالة، حيث ذكروا أنهم راسلوا السلطات المعنية قبل هذا وابلغوها بانشغالاتهم والمشاكل الطارئة بينهم وبين الحاكم العام الجديد، إلا أنها لم تأخذ بعين الاعتبار، ولم يتلقوا جوابا عنها ، ثم يتحدث عن دور ابن مبارك في تهدئة الأوضاع ومدى تأثيره على سكان السهل، في إشارة مباشرة وواضحة لاستخدام هذا التأثير في الاتجاه المعاكس ، ثم يسرد قصة إلقاء القبض على المرابطين الذين اخذوا من القليعة ، وأحوالهم وعدم الرد على مراسلاتهم ، وطلبوا في النهاية إطلاق سراح المرابطين، ورد الأموال التي أخذت كغرامة من البليدة والقليعة وعائلة ابن المبارك ،ثم طلبوا إذا كانوا يريدون تعيين احد على هذه البلاد لابد من إخبارهم لكي يشاركوا ويساعدونهم في اختيار الشخص المناسب.

ومما جاء في هذه الرسالة، «...الذي نعلمكم به هو خير إنشاء الله ،كنا اجتمعنا السنة الماضية في القليعة مع السيد الحاج محي الدين وتشاورنا معه على الظلم الواقع في الجزائر من حكامها...كتبنا لكم كتابا أخبرناكم فيه بجميع ما وقع...وقلنا لكم بعد ثلاثة أشهر من التاريخ إذا لم يأتنا الجواب من عندكم فنخن راحلون إلى رؤوس الجبال ...ولا نأمر بخير ولا ننهي عن منكر، فلما انقضت ثلاثة أشهر لم يأتنا جواب من عندك ولم ترفعوا الظلم الذي في الجزائر... قامت أهل العمالة كلها وأرادوا الفتنة والقتال مع الفرنسيين واجتمعوا كلهم في متيجة ...فاخبر الحاج محي الدين أغا الجنرال دوق دي روفيقو فبعث له الجنرال المذكور وقال له اذهب إلى محلة ابن زعمون وفرق عساكره ...وبعث له مكتوب مع خليفته سي حميد ونحن حاضرون فلما رأينا مكتوب الجنرال المذكور قلنا إلى سيدي الحاج محي الدين اركب على جوادك واذهب إلى المحلة ونحن معك وانهي الناس... فركب الحاج محي الدين ...فجعل الله الخير على يده وسمع الناس كلامه ...فإذا بالجنرال دوق دي روفيقو ينسب له الفالطة باش يطيح اسمه عندهم غره وقال له اذهب إلى المحلة فلما ذهب إليها وسمعوا الناس كلهم به في المحلة قبض سي حميد الخليفة وحبس باش ما يقول للناس ذهب إلى المحلة بأمر الجنرال وبقي في الحبس حتى مات، ثم بعث الجنرال عسكره في الليل إلى القليعة وحكم المرابطين وحبسهم ظلما، وجاء عسكر أخر إلى الحاج محي الدين لان يقبضه فلم

نعطوه نحن وقاتلنا عليه ورددنا العسكر ...ثم بعد ذلك كتبنا للجنرال وقلنا له المرابطين الذين حبستهم سيدي محمد وسيدي علال مظلومين أطلقهم وإذا لم تطلقهم نشكو إلى فرنسا فلم يجبنا شيء...واليوم كثر الظلم والفساد من القتل ...ونحن سمعنا أن رئيس فرنسا أطلق سراح سيدي محمد بن سيدي على بن مبارك، والحكام الذين في الجزائر لم يطلقوه وكتبنا لهم وقلنا لهم سرحوا المرابط خير فلم يجيبونا...والحاصل ترانا اتفقنا واجتمعنا مرة أخري عندا الحاج محي الدين ابن مبارك وكتبنا له هذه الورقة فلابد تجاوبونا عليها والحاصل أننا اشتكينا لكم كم من مرة ولم تجاوبونا ولم ترجعو عنا ظلم حكامكم وانتم غاضبون علينا وعلى الجزائر وأهلها ...واليوم لابد أن تسرح لنا المرابط سيدي محمد وتردوا المال الذي أخذه منا روفيقو ...اخذ من ابن عمر سيدي علال 500 سلطاني، ومال القليعة 5 ألاف ،ومال البليدة 3 ألاف ،وتوصلوها كلها بيد الحاج محي الدين ...وإذا مللتم من الجزائر وأردتم أن تعطوها فلا تعطوها لأحد، فالبلد بلدنا ونحن أهله، فلابد أن تخبرونا ونحن نختار حاكم يصلح لنا ولكم، ويبقي معكم على المحبة..." [13].

منذ هذه المراسلة لم نعثر فيما بعد على مراسلة جماعية من سكان السهل بهذا الشكل، إلا إن المراسلات الفردية التي تدخل في إطار تسوية أوضاع بعض الأفراد من المجتمع الجزائري، ظلت موجودة منذ بداية الاحتلال قصد رفع الغبن في الكثير من الأحيان، واسترجاع بعض الحقوق المهضومة، خاصة من طرف الشخصيات المعروفة والتي لها أملاك خلال نهاية العهد العثماني بالجزائر[14] إلى جانب المطالبة بتحسين وضعية الذين تم نفي الكثير منهم فيما بعد خارج حدود الجزائر[15]، وكخلاصة للموضوع يمكن تصنيف هذه المبادرة ضمن المبادرات الوطنية الأولي لرد الاستعمار في شكل جماعي، بعض النظر عن بعض الدوافع الفردية والمصالح الشخصية التي يمكن أن ينظر لها من زاوية ضيقة.[16]

الهوامش

[1] - MEBAREK BEN ALLEL A , CHEVASSUS- au- LOUIS A . LA TÊTE DANS UN SAC DE CUIR , La vie de Mohammed Ben Allel Sidi Embarek , mort au combat contre les Français le 11 novembre 1843 , Ed du Tell ,Blida , Algérie , 2011 , pp :39- 40 .

[2] - ينظر الخريطة التي توضح مناطق نفوذ زاوية سيدي علي مبارك :

Op,cit , p : 101 .

[3]- SAIDOUNI N . ***L'ALGEROIS RURAL A LA FIN DU L'EPOQUE OTTOMANE (1791-1830***) , DAR EL-GHARB AL-ISLAMI,BEYROUTH, 2001 ,p :79. :

حاج صادق محمد ،،***مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1989، ص ص : 135 –

[4]- في رسالة من الدوق دي روفيكو إلى وزير الحربية بتاريخ1832/01/26 أشار الدوق إلى أن سن بن المبارك يتراوح بين 42و 43 عاما أنظر:

- ESQUER G . **CORRSPONDANCE DU DUC DE ROVIGO commandent en chef le corps d'occupation d'Afrique (1831-1833)** T I : **Lettres de Duc de Rovigo** (29octobre 1831-31juillet 1832), Typographie Adolphe Jourdan, imprimerie de l'université, Alger, 1914, , p :131-132

[5]- أنظر أيضا: محمد حاج صادق،**مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1989، ص:136-137.

[6] -Berthzene ,op,cit,p :240.

[7] - De Reynaud, opcit, T1, p :135.

[(8)]- يمكن الاطلاع على الكثير من هذه العرائض الاحتجاجية في كتاب :قنان جمال. **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830 ـ 1914** ،ديوان المطبوعان الجامعية،2007،

[(9)]_مراسلة الأغا محي الدين ابن المبارك نفس المصدر ،جوان 1832 .

[10]_ نفس المصدر المراسلة الجماعية المؤرخة في جوان 1832.

[11]_ نفس المصدر المراسلة الجماعية المؤرخة في سبتمبر 1833.

[(12)]- ينظر الرسالة في العلبة :

_ FR ,C AO M, GGA, 5H28_29_30.

[(13)]- نفس المصدر السابق.

[(14)] -FR, CAOM, GGA, 8M8, **ancien séquestre**

[(15)]-تم نفي 21 جزائريا في بداية الاحتلال، من بينهم من وجهت له تهمة دعم مقاومة سيدي السعدي وابن زعمون،كما تم نفي مفتي المالكية بالعاصمة وابنه ومدرس الجامع الكبير،ينظر مراسلات مفتي المالكية إلى الحاكم العام لاختيار المنفي، وينظر أيضا التهم الموجهة لبعض الجزائريين من منطقة العاصمة،من المجموعة الأنف ذكرها الذين القي عليهم القبض وأرسلوا إلى فرنسا في :

_ FR ,C AO M, GGA,1 H1, **état des prisonniers, pour délits politiques et qui ont été renvoyés de la colonie.**

16